المحاضرة الأولى: النظرية النقدية المفهوم والنشأة

مفهوم النظرية النقدية: يقصد بالنظرية النقدية تلك النظرية التي كان ينطلق منها رواد مدرسة فرانكفورت في انتقادهم للواقعية الساذجة المباشرة، فالنظرية النقدية تعني نقد النظام الهيجلي ونقد الاقتصاد السياسي والنقد الجدلي، وتهدف هذه النظرية الى إقامة نظرية اجتماعية متعددة المصادر والمنطلقات كالاستعانة بالماركسية والتحليل النفسي، والاعتماد على البحوث التجريبية، وبتعبير آخر فالنظرية النقدية هي تجاوز للنظرية الكانطية والمثالية الهيجلية والجدلية الماركسية، فهي ترى أن نقد متناقضات المجتمع ليس فعلا سلبيا، بل هو فعل إيجابي من منظور مدرسة فرانكفورت، ويرتبط مفهوم النظرية النقدية بعنوان كتاب هوركهايمر *النظرية التقليدية والنظرية النقدية*.

والمسميات التي أطلقت على مدرسة فرانكفورت تختصر الكثير عن هذه المدرسة حيث سميت:

- ❖ النظرية النقدية: إشارة إلى مجموعة أعضائها من المثقفين الألمان الذين اتخذوا من الفلسفة النقدية رؤية لهم.
- ❖ الماركسية الأوروبية: تمييزا لفكرها عن الماركسية.
- ❖ فكر الهجرة.
- ❖ مدرسة فرانكفورت: وهو الاسم الذي خلعوه عليها بعد عودتهم من المهجر.

الجذور النظرية للنظرية النقدية: ترتبط النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت أوثق ارتباط بمعهد فرانكفورت للبحث الاجتماعي الذي أسسه في سنة 1923 نخبة من الفلاسفة وعلماء الاجتماع والاقتصاد والنفس والنقد الأدبي والجمالي المنحدرين من أصول يهودية، وقد حددوا وضعه وهدفه منذ البداية بحيث يكون معهدا حرا غير مقيد بالنظم الجامعية والأكاديمية،

يتفرغ لبحث مشكلات الاشتراكية والماركسية والعنصرية وحركة العمال، مع الاعتماد بصورة عامة على المنهج الماركسي في التحليل النقدي الاجتماعي.

وقد كان بين أعضائه "إريك فروم"، "والتر بينيامين"، "تيودور أدرنو" و"هربرت ماركوز" و"ماكس هوركهايمر" الذي تولى إدارة المعهد من 1930 الى 1934، حيث أغلقتها السلطات النازية ثم استمر في الاشراف عليه بعد ضمه الى جامعة كولومبيا في مدينة نيويورك بالولايات المتحدة الامريكية (1934-1950).

بلغت هده المدرسة ذروة تأثيرها على الحياة الفلسفية والعقلية وعلى تفكير الرأي العام المثقف في أوروبا وألمانيا الغربية في النصف الثاني من عقد السبعينات، عندما تبنت حركة الطلاب المعروفة بعض أفكار النظرية النقدية ودمجتها في ايديولوجيتها اليسارية الجديدة الرافضة لكل أشكال السلطة والتسلط، وقد تأثر رواد هذه الحركة الثورية بأفكار ماركوز على وجه الخصوص.

الخلفية الفكرية للنظرية النقدية:

من أهم الجذور الفكرية والعقلية التي تغذت عليها النظرية النقدية ونمت في تربتها:

- ✓ تراث الفلسفة المثالية الألمانية وفي مقدمته هيجل (1770-1831).
- ✓ كتابات الشباب المبكر لكارل ماركس(1818-1883) وبخاصة المخطوطات الاقتصادية الفلسفية لعام 1844 التي تحتل فيها فكرة اغتراب الانسان في ظل مجتمع علاقات الانتاج الرأسمالي مكانة كبيرة.
- ✓ الفلسفات الاجتماعية الألمانية وبخاصة ماكس فيبر.
- ✓ فلسفة التحليل النفسي وفلسفة الحضارة عند "سيجموند فرويد " (1986-1939).

- ✓ الأفكار والتصورات الماركسية والهيجلية الجديدة التي عبر عنها في العشرينات كل من كارل كورس وجورج لوكاش لاسيما كتابه "التاريخ والوعي الطبقي" (1923) الذي عرض فيه فكرة تشيء الانسان واغترابه.
- ✓ التأثر ببعض أفكار فلسفة الظاهراتية (الفيمونولوجيا) وفلسفة الحياة وفلسفة الوجود.

تيارات مدرسة فرانكفورت:

تتحدد الخريطة التي تضم جماعات النقد الاجتماعي بصفة عامة كما يلي:

التيار الأول: ترجع جذوره الفكرية لمنظور الصراع وآراء وأعمال "كارل ماركس" في منتصف القرن التاسع عشر، التي أكدت على الصراع الملازم للمصلحة بين العمال وأصحاب رأس المال ، أي أن هذا التيار يستند الى النظرية الماركسية في صورتها الكلاسيكية مع بعض التغييرات المحدودة التي فرضتها المتغيرات، ويمثل "جورج لوكاش" هذا التيار الذي ركز على الروليتاريا باعتبارها قوة التحول الاجتماعي الرئيسية في تطبيق النظرية النقدية استنادا إلى وعيها الطبقي.

التيار الثاني: يقود هذا التيار "رايت ميلز"، وقد انتشرت أفكاره على نطاق شامل بين جماعات اليسار الجديد في أوروبا وأمريكا، ولقد ظهر هذا التيار في الخمسينات في إطار نقد المجتمع الأمريكي، وفي معرض تمييزه بين اليسار واليمين يرى "رايت ميلز" أن اليمين يعني أن يكتفي الانسان بما هو قائم في المجتمع، أما اليسار فهو يعني النقد الاجتماعي والبنائي للمجتمع، وقد تزايد التصادم بين الواقع المحافظ القديم وبين البناء الجديد الذي جسدته الحركات الاجتماعية وما ارتبط بها من اتجاهات فكرية.

التيار الثالث: انبثق هذا التيار من مدرسة التبعية خلال عقدي الستينات والسبعينات، ويركز هذا االتيار على طبقة الفلاحين للقيام بالثورة كبديل للطبقة العاملة الصناعية وذلك باعتبارهم

الثوريين الوحيدين الذين ليس لديهم ما يخسرون، ومن أهم روادها "ماوتسي تونغ" و "تشي قيفارا "و "فرانز فانون".

التيار الرابع: هذا التيار ينطلق من الإطار التصوري والمنهجي للماركسية، وأيضا من القوانين العامة للتطور الاجتماعي، وتأتي حداثته من أنه يعيد قراءة الماركسية، محاولا توضيح مسارات عمل القوانين النوعية للتطور الاجتماعي، ومن خلال المعطيات الجديدة التي يفرزها الواقع الاجتماعي المتغير في المجتمع، ويضم هذا التيار رواد مدرسة فرانكفورت الذين يشغلون التيار الرئيسي للنقد الاجتماعي، الذي حاول تطوير بعض المقولات الماركسية وإسقاط بعضها الآخر وخصوصا تلك التي تتعلق بدور الطبقة العاملة، فضلا عن بعض المقولات التي لم تعد قادرة على تفسير المستجدات العصرية التي فرضتها التغيرات التكنولوجية في مجالات الاتصال والمعلومات والاقتصاد والهندسة الوراثية.

التيار الخامس: يتشكل من بعض الجماعات الوجودية وجماعات الهيبيز والعودة الى الطبيعة، ويعتبر هذا التيار نوعا من الاحتجاج الصوفي العاجز عن تأسيس رؤية نظرية فقد كانوا أول من أعلن الحرب على سيكولوجيا الاستهلاك.